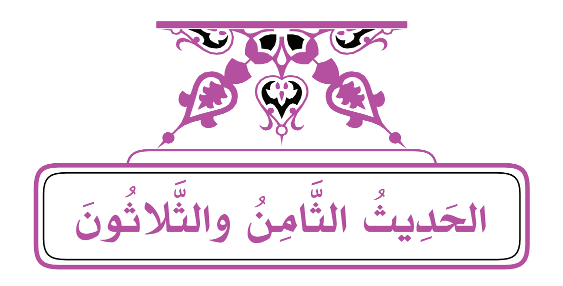
مُسلِمٌ إلَّا دخلَ الجنَّة وهُمَا يسيرٌ، ومَن يعملُ بهِمَا قليلٌ: تسبِّحُ اللهَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ عشراً، وتحمدُهُ عشراً، وتكبِّرُهُ عشراً»؛ قالَ: «فتلكَ خمسونَ ومئةٌ باللِّسانِ، وألفٌ وخمسُ مئةٍ في الميزانِ! وإذَا أخذتَ مضجعكَ تسبِّحُهُ وتكبِّرُهُ وتحمدُهُ مِئةً؛ فتِلْكَ مئةٌ باللِّسانِ، وألفٌ في الميزانِ! فأيُّكم يعملُ ـ في اليومِ واللَّيلَةِ ـ ألفَيْنِ وخمسَ مئةِ خطيئة؟!»[1].



(١) أخرجَهُ أحمدُ (٢/ ١٦٠)؛ وأبو داودَ (٥٠٦٥)؛ والتِّرمِذيُّ (٣٤١٠)؛ والنَّسائيُّ (٣/ ٧٤)، قالَ التِّرمذيُّ: «هذَا حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ»؛ وصحَّحَه الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صَحيح التَّرغيبِ والتَّرهيبِ» (٦٠٦).

وقدْ سألَ الصَّحابةُ النَّبيَّ ﷺ؛ فقالُوا: كيفَ هما يسيرٌ، ومَن يعملُ بِهما قليلٌ؟ فقالَ: «**يجيءُ أحدَكُم الشَّيطانُ في صلاتِهِ؛ فيذكِّرُهُ حاجةَ كذَا وكذَا؛ فلَا يقولُها! ويأتيهِ عِندَ منامِهِ؛ فينوِّمُهُ؛ فلَا يقولُها!**». قالَ الرَّاوِي: «ورأيتُ النَّبيَّ ﷺ يعقدُهُنَّ بيدِهِ».



الحَدِيثُ الثَّامِنُ والثَّلاثُونَ

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«إِنَّ اللهَ تَعالَىٰ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا؛ فقدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، ومَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، ولَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ؛ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ؛ فإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وإِنْ سَأَلَنِي؛ لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي؛ لَأُعِيذَنَّهُ».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ.



هذَا الحديثُ تفرَّدَ بإخراجِهِ البُخَارِيُّ دُونَ بقيَّةِ أصحابِ الكُتُبِ، وقدْ قيلَ: «إنَّه أشرفُ حديثٍ في ذِكْرِ الأولياءِ»!



• قولُه ﷺ: «مَن عادَىٰ لِي وليّاً؛ فقدْ آذنتُهُ بالحَرْبِ»:

يَعنِي: فقدْ أعلمتُهُ بأنِّي محارِبٌ لهُ؛ حيثُ كانَ محارباً لِي بمعاداةِ أوليائِي؛ فأولياءُ اللهِ تجبُ موالاتُهم، وتحرمُ معاداتُهم؛ كمَا أنَّ أعداءَهُ تجبُ معاداتُهم، وتحرُمُ موالاتُهُم.

واعْلَمْ؛ أنَّ جميعَ المعاصِي محاربةٌ للهِ ﷻ؛ فإنَّ مَن عَصَىٰ اللهَ فقدْ حارَبَهُ، لكنْ؛ كلَّما كانَ الذَّنبُ أقبحُ؛ كانَ أشدَّ محاربةً للهِ؛ ولهذَا؛ سَمَّىٰ اللهُ

أكلةَ الرِّبَا وقُطَّاعَ الطَّريقِ محارِبينَ للهِ تعالَىٰ ورَسُولِهِ؛ لعظيمِ ظُلمِهِم لعبادِهِ، وسعيِهِم بالفسادِ في بلادِهِ. وكذلكَ؛ معاداةُ أوليائِهِ؛ فإنَّه تعالَىٰ يتولَّىٰ نصرةَ أوليائِهِ، ويحبُّهُم، ويؤيِّدُهُم؛ فمَن عادَاهُم؛ فقدْ عادَىٰ اللهَ وحارَبَهُ.

• قولُه ﷺ: «ومَا تقرَّبَ إليَّ عَبْدِي بمِثْلِ أداءِ مَا افترضتُ عليهِ، ولَا يزالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ؛ حتَّىٰ أُحِبَّهُ»:

لمّا ذكرَ أنَّ معاداةَ أوليائِهِ محاربةٌ لهُ؛ ذكرَ بعدَ ذلكَ وصفَ أوليائِهِ الَّذِينَ تحرُمُ معاداتُهم، وتجبُ موالاتُهم؛ فذكرَ مَا يُتقرَّبُ بِهِ إليهِ.

وأصلُ (الولايةِ): القُربُ، وأصلُ (العداوةِ): البُعْدُ؛ فـ(أولياءُ اللهِ): هُم الَّذِينَ يتقرَّبونَ إليهِ بمَا يُقرِّبُهم مِنهُ، و(أعداؤُهُ): الَّذِينَ أبعدَهُم عَنهُ؛ بأعمالِهِم المقتضيةِ لطردِهِم وإبعادِهِم.

فقَسَّمَ أولياءَهُ المقرَّبينَ إلَىٰ قِسْمَينِ:

أَحدهما: مَن تقرَّب إليهِ بأداءِ الفرائِضِ، ويشملُ ذلك فعلُ الواجباتِ، وتركُ المحرَّماتِ؛ لأن ذلكَ كلَّهُ مِن فرائِضِ اللهِ الَّتِي افترضَهَا علَىٰ عبادِهِ.

والثَّاني: مَن تقرَّبَ إليهِ بعدَ الفرائِضِ بالنَّوافِلِ.

فظهرَ بذلكَ أنَّه لَا طريقَ يوصلُ إلَىٰ التَّقرُّبِ إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ، وولايتِهِ، ومحبَّتِهِ؛ سِوَىٰ طاعتِهِ الَّتِي شرعَهَا علَىٰ لسانِ رَسُولِهِ؛ فمَنِ ادَّعَىٰ ولايةَ اللهِ، والتَّقرُّبَ إليهِ، ومحبَّتَهُ، بغيرِ هذِهِ الطَّريقِ؛ تبيَّنَ أنَّه كاذبٌ فِي دعواهُ؛ كمَا كانَ المشركونَ يتقرَّبونَ إلَىٰ اللهِ تعالَىٰ بعبادةِ مَن يعبدونَهُ مِن دونِهِ؛ كمَا حكَىٰ اللهُ عَنهُم أنَّهم قالُوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣][(١)]، وكمَا

(١) ومِن ذلَكَ مَا يفعلُهُ بعضُ الجُهَّالِ؛ مِن اعتقادِهِم بأنَّ الأولياءَ في قبورِهِم ينفعونَ أَو يَضُرُّونَ؛ فتراهُم يدعونَهم، ويستغيثونُ بِهِم، ويذبحونَ لَهم القرابينَ، ويسألونَهم الشَّفاعةَ وسائرَ الحوائجِ! وهذَا شِرْكٌ أكبرُ؛ يخرجُ صاحبَهُ مِن الإسلامِ إلَىٰ الوثنيَّةِ؛ =

حكَىٰ عَن اليهودِ والنَّصارَىٰ أنَّهم قالُوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، معَ إصرارِهِم علَىٰ تكذيبِ رُسُلِهِ، وارتكابِ نواهيهِ، وتركِ فرائضِهِ!

فلذلكَ؛ ذكرَ في هذَا الحديثِ أنَّ أولياءَ اللهِ علَىٰ دَرَجَتَينِ:

إِحداهما: المتقرِّبونَ بالفرائضِ؛ وهذِهِ درجةُ المقتصدينَ، أصحابُ اليمينِ.

الثَّانية: درجةُ السَّابقينَ المقرَّبينَ؛ وهُم: الَّذِينَ تقرَّبُوا إِلَىٰ اللهِ بعدَ الفرائضِ بالاجتهادِ في نوافِلِ الطَّاعاتِ، والانكفافِ عَن دقائقِ المكروهاتِ بالوَرَعِ؛ وذلكَ يوجبُ للعبدِ محبَّةَ اللهِ؛ كمَا قالَ: «**ولَا يزالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِلِ؛ حتَّىٰ أُحِبَّهُ**»؛ فمَنْ أحبَّهُ اللهُ؛ رزقَهُ محبَّتَهُ، وطاعتَهُ، والاشتغالَ بذِكْرِهِ؛ فأوجبَ ذلكَ القُرْبَ مِنهُ، والزُّلفَىٰ لَدَيْهِ، والحظوةَ عِندَهُ.



• قولُه ﷺ: «**فإذَا أحببتُه؛ كنتُ سمعَهُ الَّذِي يسمعُ بهِ، وبصرَهُ الَّذِي يبصرُ بهِ، ويدَهُ الَّتِي يبطشُ بِهَا، ورِجْلَهُ الَّتِي يمشِي بِهَا**»:

المرادُ بهذَا الكلامِ: أنَّ مَن اجتهدَ بالتَّقرُّبِ إِلَىٰ اللهِ بالفرائِضِ، ثُمَّ بالنَّوافِلِ؛ قرَّبَهُ إليهِ، ورقَّاه مِن درجةِ الإيمانِ إِلَىٰ درجةِ الإحسانِ؛ فيصيرُ يعبدُ اللهَ علَىٰ الحضورِ والمراقبةِ كأنَّه يرَاهُ؛ فيمتلئُ قلبُهُ بمعرفةِ اللهِ تعالَىٰ، ومحبَّتِهِ، وعظمتِهِ، وخوفِهِ، ومهابتِهِ، وإجلالِهِ، والأُنسِ بهِ، والشَّوقِ إليهِ؛ حتَّىٰ يصيرَ هذَا الَّذِي في قلبِهِ مِن المعرفةِ مُشاهِداً لهُ بعينِ البصيرَةِ.

فمتَىٰ امتلأَ القلبُ بعظمةِ اللهِ تعالَىٰ؛ محَا ذلكَ مِن القلبِ كلَّ مَا سِوَاهُ، ولَم يبقَ للعَبْدِ شيْءٌ مِن نفسِهِ وهوَاهُ، ولَا إرادةَ إلَّا لمَا يريدُهُ مِنهُ مولَاهُ! فحينَئذٍ؛ لَا ينطقُ العبدُ إلَّا بذِكْرِهِ، ولَا يتحرَّكُ إلَّا بأمرِهِ، فإنْ نَطَقَ؛ نَطَقَ باللهِ،

= والأدِلَّةُ علَىٰ ذلكَ أكثرُ مِن أَن تُحصَرَ، وأشهرُ مِن أَن تُذكَرَ! ومَن عظَّمَ اللهَ سُبحانَهُ؛ انقطعتْ مِن قلبِهِ كلُّ علائقِ الشِّرْكِ، ومَن تدبَّرَ القرآنَ؛ تيقَّنَ بذلكَ، وللهِ الحمدُ، ومِنهُ نستمدُّ الهدايةَ والثَّباتَ علَىٰ الحقِّ؛ آمينَ.

وإنْ سَمِعَ؛ سَمِعَ بِهِ، وإنْ نَظَرَ؛ نَظَرَ بِهِ، وإنْ بَطَشَ؛ بَطَشَ بِهِ! فهذَا هُوَ المرادُ بقولِهِ ﷺ: «**كنتُ سمعَهُ الَّذِي يسمعُ بِهِ، وبصرَهُ الَّذِي يبصرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتِي يبطشُ بِهَا، ورِجْلَهُ الَّتِي يمشِي بِهَا**»(١).

ومَن أشارَ إلَىٰ غيرِ هذَا؛ فإنَّما يشيرُ إلَىٰ الإلحادِ ـ مِن الحُلُولِ أَو الاتِّحادِ ـ! واللهُ ورسولُهُ بريئانِ مِنهُ.

• قولُه ﷺ: «**ولئنْ سألَنِي؛ لأعطينَّهُ، ولئِنْ استعاذَنِي؛ لأُعيذَنَّهُ**»:

يَعنِي: أنَّ هذَا المَحبوبُ لهُ عِندَ اللهِ منزلةٌ خاصَّةٌ؛ تقتَضِي أنَّه إذَا سألَ اللهَ شيئاً؛ أعطاهُ إيَّاهُ، وإِن استعاذَ رَبَّهُ مِن شيْءٍ؛ أعاذَهُ مِنهُ، وإِن دعاهُ؛ أجابَهُ؛ فيصيرُ مجابَ الدَّعْوَةِ؛ لكرامَتِهِ علَىٰ رَبِّهِ ﷻ.

وقدْ كانَ كثيرٌ مِن السَّلَفِ الصَّالِحِ معروفاً بإجابةِ الدَّعْوَةِ؛ وكانَ سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ مجابَ الدَّعْوَةِ؛ فكذبَ عليهِ رَجُلٌ؛ فقالَ: «اللَّهُمَّ؛ إنْ كانَ كاذباً؛ فأَعْمِ بصرَهُ، وأَطِلْ عُمرَهُ، وعَرِّضْهُ للفِتَنِ»! فأصابَ الرَّجُلَ ذلكَ كلُّهُ؛ فكانَ يتعرَّضُ للجوارِي في السِّككِ؛ ويقولُ: «شيخٌ كبيرٌ، مفتونٌ، أصابتنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ»(٢)! ودَعَا علَىٰ رَجُلٍ سَمِعَهُ يشتمُ عليّاً؛ فمَا برحَ مِن مكانِهِ حتَّىٰ جاءَ بعيرٌ نادٌّ؛ فخبطَهُ بيدَيْهِ ورِجْلَيْهِ؛ حتَّىٰ قتلَهُ!

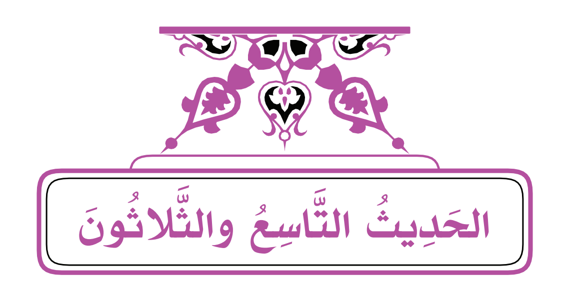
ونازعتِ امرأةٌ سعيدَ بنَ زيدٍ في أرضٍ لهُ؛ فادَّعَتْ أنَّه أخذَ مِنهَا أرضَها؛ فقالَ: «اللَّهُمَّ؛ إنْ كانتْ كاذبةً؛ فأَعْمِ بصرَهَا، واقتلْهَا في أرضِهَا»؛ فعَمِيَتْ، وبينَما هِيَ ـ ذاتَ ليلةٍ ـ تمشِي في أرضِهَا؛ إذْ وقعتْ في بئرٍ فِيهَا؛ فماتَتْ(٣)!

---

(١) يفسر ذلك بعض روايات الخبر: «فبي يسمع وبي يبصر...»؛ أي: بتوفيقي وعوني وتسديدي. (الشيخ عبد العزيز الطريفي).

(٢) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٧٥٥). ومعنىٰ قولِهِ: «فكذبَ عليهِ رَجُلٌ»؛ أَي: أنَّه اتَّهمَهُ كذباً وبُهتاناً.

(٣) أخرجَهُ مُسلِمٌ (١٦١٠). وانظر: «الأصلَ»؛ فقدْ أوردَ المصنِّفُ جملةً صالحةً مِن أخبارِ مُجابِي الدُّعاءِ.



الحَدِيثُ التَّاسِعُ والثَّلاثُونَ

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ، والنِّسْيَانَ، ومَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ».

حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه والبَيْهَقِيُّ، وغَيْرُهُمَا.

الشَّرح

• قولُه ﷺ: «إِنَّ اللهَ تجاوزَ لِي عَن أُمَّتِي الخطأَ، والنِّسيانَ...» إِلَىٰ آخرِهِ:

تقديرُهُ: إنَّ اللهَ رفعَ لِي عَن أُمَّتِي الخطأَ، أَو تركَ ذلكَ عَنهُم؛ فإنَّ (تجاوزَ) لَا يتعدَّىٰ بنفسِهِ.

• وقولُه ﷺ: «الخطأَ، والنِّسيانَ، ومَا استُكْرِهُوا عليهِ»:

فأمَّا الخطأُ والنِّسيانُ فقدْ صرَّحَ القرآنُ بالتَّجاوُزِ عَنهُمَا؛ قالَ تعالَىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقالَ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥]، وفي «الصَّحيحينِ»، عَن عمرِو بنِ العاصِ، سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ، يقولُ: «**إذَا حكمَ الحاكمُ؛ فاجتهدَ، ثُمَّ أصابَ؛ فلَهُ أجرانِ، وإذَا حكمَ؛ فاجتهدَ؛ فأخطأَ؛ فلَهُ أجرٌ**»(١).

(١) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٧٣٥٢)؛ ومُسلِمٌ (١٧١٦).

وأمَّا الإكراهُ فصرَّحَ القرآنُ أيضاً بالتَّجاوُزِ عَنهُ[١]؛ قالَ تعالَىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، وقالَ تعالَىٰ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ [آل عمران: ٢٨].

و(الخطأُ): هُوَ أَن يقصدَ بفعلِهِ شيئاً؛ فيصادِفَ فِعْلُهُ غيرَ مَا قصدَهُ؛ مِثْل: أَن يقصدَ قتلَ كافرٍ؛ فيصادِفَ قَتله مُسلِماً.

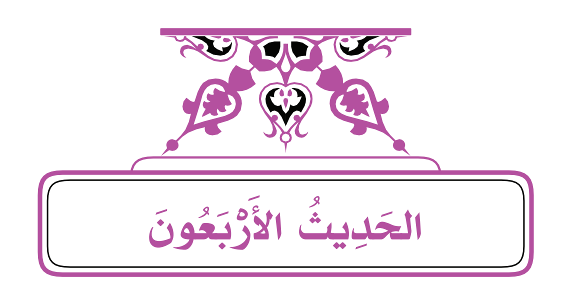
و(النِّسيانُ): أَن يكونَ ذاكراً لشيْءٍ؛ فينساهُ عِندَ الفِعْلِ.

وكِلَاهما معفوٌّ عَنهُ؛ بمعنَىٰ: أنَّه لَا إثمَ فيهِ، ولكنْ؛ رفعُ الإثم لَا يُنافِي أَن يترتَّبَ علَىٰ نِسيانِهِ حُكْمٌ؛ كمَا أنَّ مَن نَسِيَ الوُضوءَ، وصلَّىٰ ظانًّا أنَّه متطهِّرٌ؛ فلَا إثمَ عليهِ بذلكَ، ثُمَّ إنْ تبيَّنَ لهُ أنَّه كانَ صلَّىٰ مُحْدِثاً؛ فإنَّ عليهِ الإعادةَ، ولَو تركَ الصَّلاةَ نِسياناً، ثُمَّ ذكرَ؛ فإنَّ عليهِ القضاءَ؛ كمَا قالَ ﷺ: «**مَن نَامَ عَن صلاةٍ، أَو نَسِيَهَا؛ فلْيُصَلِّهَا إذَا ذكرَهَا؛ لَا كفارَةَ لَها إلَّا ذَلِك**»؛ ثُمَّ تلَا: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه][٢].



(١) علىٰ خلاف عندهم في الإكراه علىٰ فعل الكفر والصواب أن فاعله معذور، أما قول الكفر مع الإكراه فمحل اتفاق علىٰ العذر به. (الشيخ عبد العزيز الطريفي).

(٢) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٥٧٢)؛ ومُسلِمٌ (٦٨٤).



الحَدِيثُ الأَرْبَعُونَ

عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بمَنْكِبيَّ؛ فقَالَ: «كُنْ في الدُّنْيَا كأنَّكَ غَرِيبٌ، أَو عَابرُ سَبِيلٍ».

وكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: «إذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أَصْبَحْتَ فلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وخُذْ مِن صِحَّتِك لِمَرَضِك، ومِنْ حَيَاتِك لِمَوْتِك».

رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

الشَّرح

هذَا الحديثُ أصلٌ في قِصَرِ الأَمَلِ في الدُّنيا؛ وأنَّ المؤمِنَ لَا ينبَغِي له أَن يتَّخِذَ الدُّنيا وطناً ومسكناً فيطمئنَّ فِيهَا؛ ولكنْ؛ ينبَغِي أَن يكونَ فِيهَا كأنَّه علَىٰ جَنَاحِ سَفَرٍ؛ يهيّئُ جهازَهُ للرَّحيلِ.

وقدِ اتَّفقتْ علَىٰ ذلكَ وصايَا الأنبياءِ وأَتباعِهِم:

قالَ تعالَىٰ، حاكياً عَن مؤمِنِ آلِ فِرْعونَ؛ أنَّه قالَ: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ۝٣٩﴾ [غافر].

وكانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ: **«مَا لِي وللدُّنيا؟! إنَّما مَثَلِي ومَثَلُ الدُّنيَا كمَثَلِ رَاكِبٍ قالَ في ظِلِّ شجرةٍ، ثُمَّ راحَ وتركَهَا!»**(١).

(١) أخرجَهُ التِّرمذيُّ (٢٣٧٧)، وقالَ: «هذَا حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ».
قوله: «**قالَ في ظِلِّ شجرةٍ**»: مِن القيلولَة؛ وهِيَ: الاستراحةُ نصفَ النَّهارِ، وإنْ لم =

قالَ بعضُ الحكماءِ: «عجبتُ ممَّنِ الدُّنيا موليَةٌ عَنهُ، والآخرَةُ مُقبِلَةٌ إليهِ؛ يشتغلُ بالمُدبِرَةِ، ويُعرِضُ عَنِ المُقبِلَةِ»!

وإذَا لَم تكنِ الدُّنيا للمؤمنِ دارَ إقامةٍ ولَا وطناً؛ فينبَغِي أَن يكونَ حالُهُ فِيهَا علَىٰ أحدِ حَالَيْنِ:

إمَّا أَن يكونَ كأنَّه غريبٌ؛ مُقيمٌ في بَلَدِ غُرْبَةٍ.

أَو يكونَ كأنَّه مسافرٌ؛ غيرُ مقيمٍ البتةَ.

فلهذَا؛ وصَّىٰ النَّبيُّ ﷺ ابنَ عُمَرَ أَن يكونَ علَىٰ أَحَدِ هذَيْنِ الحالَيْنِ:

فأَحدهما: أَن ينزلَ المؤمنُ نفسَهُ كأنَّه غريبٌ في الدُّنيا، يتخيَّلُ الإقامةَ لكنْ في بَلَدِ غُرْبَةٍ! فهُوَ غيرُ متعلِّقِ القلبِ ببَلَدِ الغُرْبَةِ؛ بلْ قلبُهُ متعلِّقٌ بوَطَنِهِ الَّذِي يرجعُ إليهِ؛ وإنَّما هُوَ مقيمٌ في الدُّنيا؛ ليقضيَ مَرَمَّةَ[1] جهازِهِ إلَىٰ الرُّجوعِ إلَىٰ وَطَنِهِ.

ومن كانَ كذلكَ؛ فلَا هَمَّ لهُ إلَّا في التَّزوُّدِ بمَا ينفعُهُ عِندَ عودِهِ إلَىٰ وطنِهِ؛ فلَا ينافسُ أهلَ البَلَدِ في عِزِّهِم، ولَا يجزعُ مِن الذُّلِّ عِندَهُم!

الحَال الثَّاني: أَن ينزلَ المؤمنُ نفسَهُ في الدُّنيا كأنَّه مُسافِرٌ؛ غيرُ مقيمٍ البتةَ؛ وإنَّما هُوَ سائِرٌ في قَطْعِ منازِلِ السَّفَرِ؛ حتَّىٰ ينتهيَ بهِ السَّفَرُ إلَىٰ آخرِهِ؛ وهُوَ الموتُ!

ومَن كانَتْ هذِهِ حالُه في الدُّنيا؛ فهِمَّتُه تحصيلُ الزَّادِ للسَّفَرِ، وليسَ لَهُ هِمَّةٌ في الاستكثارِ مِن مَتَاعِ الدُّنيا.



وأمَّا وصيَّةُ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا:

فهِيَ مأخوذَةٌ مِن هذَا الحديثِ الَّذِي رَوَاهُ؛ وهِيَ متضمِّنةٌ لنهايةِ قِصَرِ

= يكنْ مَعَهَا نومٌ. «النِّهاية» (٤/ ١٣٣).

(١) المعنَىٰ: أنَّه يجمعُ متاعَهُ؛ ليرجعَ إلَىٰ وطنِهِ؛ فإنَّ (الرمَّ) هُوَ: إصلاحُ مَا فسدَ، ولمُّ مَا تفرَّقَ، و(المرمَّة): هِيَ متاعُ البيت ـ مَا في «لسان العربِ»، مادة: (رمم).

الأَمَلِ؛ وأنَّ الإنسانَ إذَا أمسَىٰ؛ لَم ينتظرِ الصَّباحَ، وإذَا أصبحَ؛ لَم ينتظرِ المساءَ؛ بلْ يظنُّ أنَّ أجلَهُ يدركُهُ قبلَ ذلك!

• قولُه: «وخُذْ مِن صِحَّتِكَ لسقمِكَ، ومِن حياتِكَ لموتِكَ»:

يَعنِي: اغْتَنِم الأعمالَ الصَّالحةَ في الصِّحَّةِ؛ قبلَ أَن يحولَ بينَكَ وبينَها السَّقمُ، وفي الحياةِ؛ قبلَ أن يحولَ بينَك وبينَها الموتُ!

وفي «صَحيح الحاكم»، عَن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ لرجلٍ وهُوَ يَعِظُهُ: «**اغْتَنِمْ خمساً قَبلَ خَمسٍ: شبابَكَ قبلَ هرمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سقمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقرِكَ، وفراغَكَ قبلَ شغلِكَ، وحياتَكَ قبلَ مَوْتِكَ**»[(١)].

فالواجبُ علَىٰ المؤمنِ المبادرةُ بالأعمالَ الصَّالحةِ، قبلَ أَن لَا يقدر عليهَا، ويحالَ بينَهُ وبينَهَا؛ ومتَىٰ حِيلَ بينَ الإنسانِ والعملِ؛ لَم يبقَ لَهُ إلَّا الحسرةُ والأسفُ عليه، ويتمنَّىٰ الرُّجوعَ إلَىٰ حالةٍ يتمكَّنُ فِيهَا مِن العملِ؛ فلَا تنفعُهُ الأُمنيةُ!

قالَ ـ تعالَىٰ ـ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزمر].

وقالَ ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون].

(١) أخرجَهُ الحاكمُ (٤/٣٠٦)، وقالَ: «هذَا حديثٌ صحيحٌ علَىٰ شرطِ الشَّيخَينِ»، وصحَّحَه الشَّيخُ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «صَحيح التَّرغيبِ والتَّرهيبِ» (٣٣٥٥).

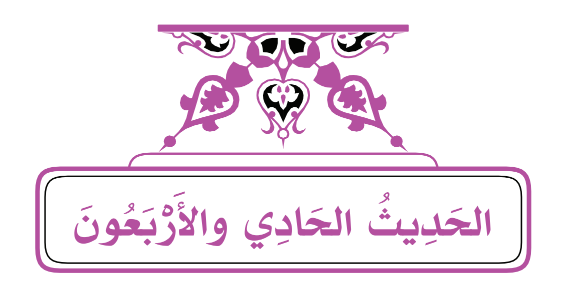
وقـــــال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون].

اغْتَنِمْ في الفراغِ فَضْلَ رُكُوعٍ ... فعَسَىٰ أَن يكونَ مَوْتَك بَغْتَهْ

كَمْ صحيحٍ رأيتَ مِن غيرِ سقمٍ ... ذهبتْ نفسُهُ الصَّحيحةُ فلتهْ[1]

* ❋ *

(١) البيتانِ ذكرَهما السُّبكيُّ في «طبقات الشَّافعيَّةِ» (٢/ ٢٣٥)؛ ونسبَهما للإمامِ البُخَارِيِّ، صاحبِ «الصَّحيح» رَحِمَهُ اللهُ.



الحَدِيثُ الحَادِي والأَرْبَعُونَ

عن عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ».

قالَ الشَّيْخُ رحمه الله: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، روينَاهُ في «كِتَاب الحُجَّةِ».

بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[1].

الشَّرْح

معنَىٰ الحديثِ: أنَّ الإنسانَ لَا يكونُ مؤمناً كاملَ الإيمانِ الواجبِ؛ حتَّىٰ تكونَ محبَّتُهُ تابعةً لِمَا جاءَ بِهِ الرَّسُول ﷺ؛ فيُحِبَّ مَا أمرَ بهِ، ويكرَه مَا نَهىٰ عَنهُ.

وقدْ وردَ القرآنُ بِمِثْلِ هذَا في غيرِ مَوْضِعٍ؛ قالَ تعالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، وقالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وذَمَّ سُبحانَهُ مَن كَرِهَ مَا أحبَّهُ اللهُ، أَو أحبَّ مَا كَرِهَهُ اللهُ؛ قالَ تعالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد]، وقالَ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد].

(١) وهو معلول. (الشيخ عبد العزيز الطريفي).

فالواجبُ علَىٰ كلِّ مؤمنٍ:

أَن يحبَّ مَا أحبَّهُ اللهُ؛ محبَّةً توجبُ لهُ الإتيانَ بمَا وجبَ عليهِ مِنهُ، فإنْ زادَتِ المحبَّةُ؛ حتَّىٰ أتَىٰ بمَا ندبَ إليهِ مِنهُ؛ كانَ ذلكَ فَضْلاً.

وأَن يكرَهَ مَا كَرِهَهُ اللهُ تعالَىٰ؛ كراهةً توجبُ لهُ الكفَّ عمَّا حرَّمَ عليهِ مِنهُ، فإنْ زادَتِ الكراهةُ؛ حتَّىٰ أوجبَتِ الكفَّ عمَّا كَرِهَهُ تنزيهاً؛ كانَ ذلكَ فَضْلاً.

والمحبَّةُ الصَّحيحةُ تقتَضِي المتابعةَ والموافقةَ في حُبِّ المحبوباتِ، وبُغْضِ المكروهاتِ؛ قالَ تعالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]؛ فمَن أحبَّ اللهَ ورَسُولَهُ محبَّةً صادِقَةً مِن قلبِهِ؛ أوجبَ لهُ ذلكَ أَن يحبَّ بقلبِهِ مَا يحبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ، ويكرَهُ مَا يكرَهُهُ اللهُ ورَسُولُهُ، ويرضَىٰ بمَا يرضَىٰ اللهُ ورَسُولُهُ، ويسخطُ مَا يسخطُهُ اللهُ ورَسُولُهُ، وأَن يعملَ بجوارِحِهِ بمُقتَضَىٰ هذَا الحبِّ والبُغْضِ؛ فإنْ عَمِلَ شيئاً يخالفُ ذلكَ بأَنِ ارتكبَ بعضَ مَا يكرهُهُ اللهُ ورَسُولُه، أَو تركَ بعضَ مَا يحبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ، معَ وجوبِهِ، والقُدْرَةِ عليهِ؛ دلَّ ذلكَ علَىٰ نَقْصِ محبَّتِهِ الواجبةِ؛ فعليهِ أَن يتوبَ، ويرجعَ إلَىٰ تكميلِ المحبَّةِ الواجِبَةِ.

قالَ يَحيَىٰ بنُ مُعاذٍ: «ليسَ بصادقٍ مَنِ ادَّعَىٰ محبَّةَ اللهِ ﷻ، ولَم يحفظْ حُدُودَهُ»!

ولبَعْضِ المتقدِّمينَ:

تَعْصِي الإلٰهَ وأنتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ ... هذَا ـ لَعَمْرِي ـ في القياسِ شنيعُ
لَو كانَ حُبُّكَ صادِقاً لأَطَعْتَهُ ... إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ

فجميعُ المعاصِي تنشأُ مِن تقديمِ هوَىٰ النُّفوسِ علَىٰ محبَّةِ اللهِ ورَسُولِهِ؛ وقدْ وَصَفَ اللهُ المشركينَ باتِّباعِ الهوَىٰ في مواضِعَ مِن كتابِهِ؛ وقالَ تعالَىٰ:

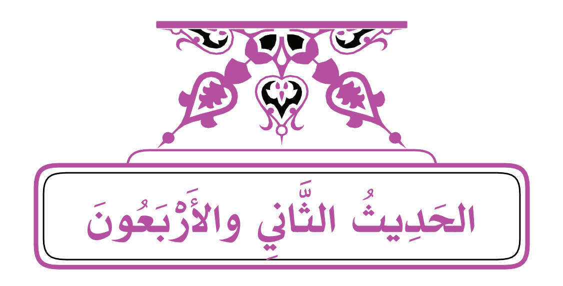
﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [القصص: ٥٠].

وكذلكَ البِدَعُ إنَّما تنشأُ مِن تقديمِ الهوَىٰ علَىٰ الشّرعِ؛ ولهذَا يُسَمَّىٰ أهلُها أهلَ الأهواءِ.

وكذلكَ حبُّ الأشخاصِ؛ الواجبُ فيهِ أَن يكونَ تَبَعاً لِمَا جاءَ بهِ الرَّسُولُ ﷺ؛ فيجبُ علَىٰ المؤمنِ محبَّةُ اللهِ، ومحبَّةُ مَن يحبُّهُ اللهُ ـ مِن الملائكةِ، والرُّسُلِ، والأنبياءِ، والصِّدِّيقينَ، والشُّهداءِ، والصَّالحينَ عُموماً ـ؛ ولهذَا؛ كانَ مِن علاماتِ وجودِ حلاوةِ الإيمان أَن يحبَّ المَرْءَ لَا يحبُّهُ إلَّا للهِ.

ويحرُمُ موالاةُ أعداءِ اللهِ، ومَن يكرَهُهُ اللهُ (عموماً)، وقدْ سبقَ ذلكَ في مَوْضِعٍ آخرَ؛ وبهذَا يكونُ الدِّينُ كلُّهُ للهِ.





الحَدِيثُ الثَّانِي والأَرْبَعُونَ

عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تعالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ؛ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي ورَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي.

يَا ابْنَ آدَمَ؛ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي؛ غَفَرْتُ لَكَ.

يَا ابْنَ آدَمَ؛ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً؛ لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ».

الشَّرح

هذَا الحديثُ تفرَّدَ بِهِ التِّرمِذيُّ، وإسنادُهُ لَا بأسَ بِهِ.

وقد تضمَّنَ أنَّ هذِهِ الأسبابَ الثَّلاثةَ يحصلُ بِهَا المغفرةُ:

أَحدها: الدُّعاء معَ الرَّجاءِ: فإنَّ الدُّعاءَ مأمورٌ بهِ، وموعودٌ عليهِ بالإجابةِ؛ كمَا قالَ تعالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وفي «السُّنَنِ الأربعةِ»، عَن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ، عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**إنَّ الدُّعاءَ هُوَ العِبادَةُ**»؛ ثُمَّ تلَا هذِهِ الآيةَ(١).

(١) أخرجَهُ أبو داودَ (١٤٧٩)؛ والتِّرمِذيُّ (٣٢٤٧)؛ والنَّسائيُّ في «الكبرىٰ» (٦/ ٤٥٠)؛ وابنُ ماجَه (٣٨٢٨)، قالَ التِّرمذيُّ: «هذَا حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ».

لكنَّ الدُّعاءَ سببٌ مُقْتَضٍ للإجابةِ؛ معَ استكمالِ شرائطِهِ، وانتفاءِ موانِعِهِ؛ ومِن أعظمِ شرائِطِهِ: حضورُ القلبِ، ورجاءُ الإجابةِ؛ كَمَا خرَّجَهُ التِّرمِذِيُّ، مِن حديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**أُدْعُوا اللهَ وأنتُم مُوقِنونَ بالإجابةِ؛ فإنَّ اللهَ لَا يقبلُ دعاءً مِن قلبٍ غافلٍ لاهٍ**»[1]؛ ولهذَا؛ نُهِيَ العَبْدُ أَن يقولَ في دُعائِهِ: «**اللَّهُمَّ؛ اغْفِرْ لِي؛ إنْ شِئْتَ؛ ولكنْ؛ لِيَعْزِمِ المسألةَ؛ فإنَّ اللهَ لَا مُكْرِهَ لهُ**»[2].

• قولُه ﷺ: «**إنَّكَ مَا دعوتَنِي ورَجَوتَنِي؛ غفرتُ لكَ علَىٰ مَا كانَ منكَ ولَا أُبالِي**»:

يَعنِي: علَىٰ كثرةِ ذُنُوبِكَ وخطاياكَ، ولا يتعاظَمُنِي ذلكَ، ولَا أستكثِرُهُ.

السَّبب الثَّاني للمَغْفرةِ: الاستِغْفَار: ولَو عَظُمَتِ الذُّنُوبُ، وبَلَغَتْ عنانَ السَّماءِ ـ وهُوَ: السَّحابُ، وقيلَ: مَا انتهَىٰ إليهِ البصرُ مِنهَا ـ.

و(الاستغفارُ): هُوَ طلبُ المغفرةِ؛ و(المغفرةُ): هِيَ وقايةُ شَرِّ الذُّنوبِ، معَ سَتْرِهَا.

وأفضلُ أنواعِ الاستغفارِ: أَن يبدأَ العَبْدُ بالثَّناءِ علَىٰ رَبِّهِ، ثُمَّ يثنِّي بالاعترافِ بذَنبِهِ، ثُمَّ يسألُ اللهَ المغفرةَ؛ كمَا في حديثِ شدَّادِ بنِ أوسٍ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**سَيِّدُ الاستغفارِ أَن يقولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ؛ أنتَ ربِّي، لَا إلٰهَ إلَّا**

---

(١) أخرجَهُ التِّرمذيُّ (٣٤٧٩)، وفيهِ: صالحٌ المُرِّيُّ، لكنْ؛ قدْ حسَّنَه الألبانيُّ لغيرِهِ؛ كما في «صَحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (١٦٥٣).

(٢) أخرجَهُ البُخاريُّ (٦٣٣٩)؛ ومُسلِمٌ (٢٦٧٨، ٢٦٧٩).

وهُنَا يحسنُ التَّنبيهُ إِلَىٰ خطإٍ شائعٍ جدًّا؛ هُوَ أنَّ كثيراً مِن النَّاسِ إذَا أرادَ أَن يدعوَ لأخيهِ في وجهِهِ؛ قالَ: «جزاكَ اللهُ خيراً، إنْ شاءَ اللهُ»، أَو «اللهُ يوفِّقُكَ، إنْ شاءَ اللهُ»، ونحو هذِهِ الدَّعواتِ! وهذَا مِن المنهيِّ عَنهُ؛ فالواجبُ: تجريدُ الدُّعاءِ مِن لفظِ المشيئةِ؛ عملاً بهذَا الحديثِ، ومَا وردَ في معنَاهُ. واللهُ أعلَمُ.

أنتَ، خلقتَنِي وأنَا عَبْدُكَ، وأنَا علَىٰ عَهْدِكَ ووَعْدِكَ مَا استطعْتُ؛ أعوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صنعتُ، أبوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عليَّ، وأبوءُ بذَنبِي؛ فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لَا يغفرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ»، خرَّجَهُ البُخَارِيُّ(١).

ومِن أنواعِ الاستغفارِ: أَن يقولَ العَبْدُ: «**أستغفرُ اللهَ، الَّذِي لَا إلٰهَ إلَّا هُوَ الحيُّ القيُّومُ، وأتوبُ إليهِ**»، وقدْ رُوِي عَن النَّبيِّ ﷺ: «**أنَّ مَن قالَهُ؛ غُفِرَ لهُ، وإنْ كانَ فرَّ مِن الزَّحْفِ**»، خرَّجَهُ أبو داودَ والتِّرمِذيُّ(٢).

وفي «صَحيح البُخَارِيِّ»، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**واللهِ؛ إنِّي لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ ـ في اليومِ ـ أكثرَ مِن سبعينَ مرَّةً**»(٣).

وفي «صَحيح مُسلِم»، عَن الأغرِّ المُزنيِّ، عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**إنَّه ليُغَانُ علَىٰ قلبِي؛ وإنِّي لأستغفرُ اللهَ ـ في اليومِ ـ مئةَ مرَّةٍ**»(٤).



السَّبَب الثَّالث مِن أَسبابِ المَغفرةِ: التَّوحيد: وهُوَ السَّببُ الأعظمُ؛ فمَن فقدَهُ؛ فَقَدَ المغفرةَ، ومَن جاءَ بِهِ؛ فقدْ أتَىٰ بأعظمِ أسبابِ المغفرةِ!

فمَن جاءَ (معَ التَّوحيدِ) بقُرابِ الأرضِ ـ وهُوَ ملؤُهَا، أو ما يقاربُ ملئَها ـ خطايَا؛ لَقِيَهُ اللهُ بقُرابِهَا مغفرةً، لكنَّ هذَا معَ مشيئةِ اللهِ ﷻ؛ فإنْ شاءَ غفرَ لهُ، وإنْ شاءَ أخذَهُ بذُنُوبِهِ، ثُمَّ كانَ عاقبتُهُ أَن لَا يخلَّدَ في النَّارِ؛ بلْ يخرجُ مِنها، ثُمَّ يدخلُ الجنَّةَ.

فهذَا آخرُ مَا ذكرَهُ الشَّيخُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِن الأحاديثِ في هذَا الكتابِ، ونحنُ ـ بِعَوْنِ اللهِ ومشيئَتِهِ ـ نذكرُ تتمَّةَ الخمسينَ حديثاً مِن الأحاديثِ الجامِعَةِ لأنواعِ العُلُومِ والحِكَمِ والآدَابِ؛ واللهُ الموفِّقُ للصَّوابِ.

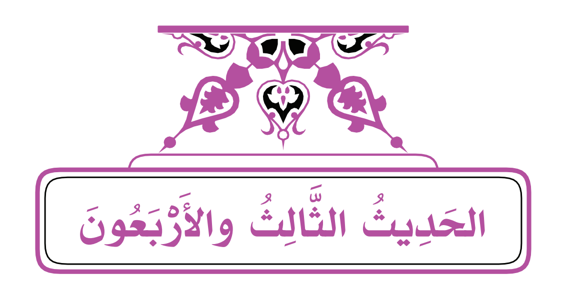
---

(١) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٦٣٠٦).

(٢) أخرجَهُ أبو داودَ (١٥١٧)؛ والتِّرمِذيُّ (٣٥٧٧)، قالَ المنذريُّ: «إسنادُهُ صحيحٌ متَّصِلٌ».

(٣) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٦٣٠٧).

(٤) أخرجَهُ مُسلِمٌ (٢٧٠٢).



الحَدِيثُ الثَّالِثُ والأَرْبَعُونَ

عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا؛ فَمَا أَبْقَتِ الفَرَائِضُ؛ فلِأَوْلَىٰ رَجُلٍ ذَكَرٍ».

خَرَّجَهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ.

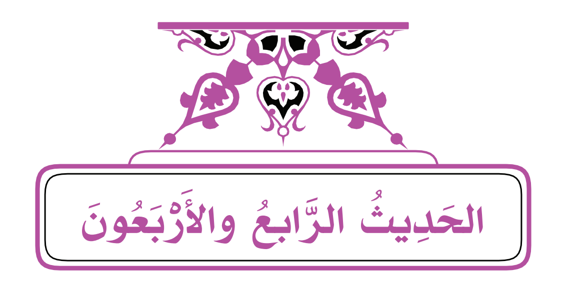
الشَّرْح

هذَا الحديثُ مبيِّنٌ لكيفيَّةِ قِسمةِ المواريثِ المذكورةِ في كتابِ اللهِ بينَ أهلِهَا، ومبيِّنٌ لقِسمةِ مَا فضلَ مِن المالِ عَن تِلكَ القِسمةِ؛ ممَّا لَم يُصرَّحْ بهِ في القرآنِ؛ مِن أحوالِ الوَرَثَةِ وأقسامِهم؛ ومبيِّنٌ أيضاً لكيفيَّةِ توريثِ بقيَّةِ العصباتِ الَّذِينَ لم يُصرَّحْ بتسميَتِهم في القرآنِ.

فإذَا ضُمَّ الحديثُ إلَىٰ آياتِ القرآنِ؛ انتظمَ ذلكَ كلِّه معرفة قِسمةِ المواريثِ، بينَ جميعِ ذَوِي الفروضِ والعصباتِ[١].



(١) وفيه حثٌ علىٰ تعلُّم علم الفرائض لما فيها من حفظ حق الأحياء والأموات، وقد جاء في الآثار: «أنها أول علم يفقد». (الشيخ عبد العزيز الطريفي).



الحَدِيثُ الرَّابعُ والأَرْبَعُونَ

عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ:

«الرَّضَاعَةُ تُحَرِّمُ مَا تُحرِّمُ الوِلَادَةُ».

خرَّجَهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ.



الشَّرْح

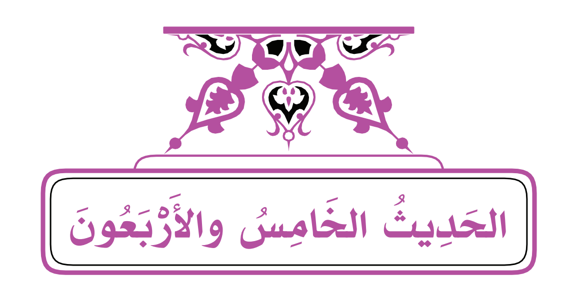
هذَا الحديثُ خرَّجَاهُ في «الصَّحيحينِ»، مِن روايةِ عمرةَ، عَن عائشةَ، وخرَّجَ مُسلِمٌ أيضاً، مِن روايةِ عُروةَ، عَن عائشةَ، عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**يحرُمُ مِن الرَّضاعَةِ مَا يحرُمُ مِن النَّسَبِ**»، وخَرَّجَاهُ مِن حديثِ ابنِ عبَّاسٍ، عَن النَّبيِّ ﷺ.

وقدْ أجمعَ العلماءُ علَى العملِ بهذِهِ الأحاديثِ في الجملَةِ؛ وأنَّ الرَّضاعَ يحرِّمُ مَا يحرِّمُهُ النَّسَبُ[1].

* * *

(١) الرَّضاعة تحرم فقط، لكنها ليست رحماً يوصل بها، بل وصلها من تمام الإحسان وحسن العهد ورد المعروف كما شفَّع الله نبيه بأبي لهب وهو في النار بسبب إعتاقه مرضعة النبي ﷺ.

فالرضاع فضل وإحسان ينبغي الشكر والإحسان عليه. (الشيخ عبد العزيز الطريفي).



الحَدِيثُ الخَامِسُ والأَرْبَعُونَ

عن جَابِرٍ رضي الله عنه، أنَّه سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ عَامَ الفَتْحِ؛ وهُوَ بِمَكَّةَ، يَقُولُ:

«إنَّ اللهَ ورَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، والمَيْتَةِ، والخِنْزِيرِ، والأَصْنَامِ».

فقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ؛ فإنَّهُ يُطْلَىٰ بِهَا السُّفُنُ، ويُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، ويَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟

قَالَ: «لَا! هُوَ حَرَامٌ».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ عِندَ ذَلِكَ ـ: «قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ؛ إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ؛ فأَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ؛ فأَكَلُوا ثَمَنَهُ!».

خَرَّجَهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ.

الشَّرح

هذَا الحديثُ خرَّجَاهُ في «الصَّحيحينِ»، وخرَّجَ أبو داودَ، مِن حديثِ ابنِ عبَّاسٍ، عَن النَّبيِّ ﷺ: «... **وإنَّ اللهَ إذَا حَرَّمَ أكلَ شَيْءٍ؛ حرَّم عَلَيْهِم ثمنَهُ**»[1].

وفي «الصَّحيحينِ»، عَن أبي هُرَيرةَ، عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**قاتلَ اللهَ يَهوداً؛ حُرِّمَتْ عَلَيهِم الشُّحُومُ؛ فبَاعُوهَا، وأكلُوا أثمانهَا**»[2]!

---

(١) أخرجَهُ أبو داودَ (٣٤٨٨)، وأخرجَهُ ـ كذلك ـ: الإمامُ أحمدُ في «مُسندَه» (١/ ٢٤٧)، قالَ الشَّيخُ أحمدُ شاكر في تعليقِهِ علَىٰ «المُسنَد» (٤/ ٤٨): «إسنادُهُ صحيحٌ».

(٢) أخرجَهُ البُخَاريُّ (٢٢٢٤)؛ ومُسلمٌ (١٥٨٢).

وفي «الصَّحيحينِ»، عَن عائشة، قالَتْ: «لمَّا أُنزلَتِ الآياتُ مِن آخِرِ سُورَةِ (البقرة)؛ خرجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ فاقترَأهنَّ علَىٰ النَّاسِ؛ ثُمَّ نَهىٰ عَن التِّجارَةِ في الخمرِ»، وفي رِوايةٍ لمُسلِم: «لمَّا نزَلَتِ الآياتُ مِن آخِرِ سُورَةِ (البقرة) في الرِّبا؛ خرجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَىٰ المسجدِ؛ فحرَّمَ التِّجارَةَ في الخمرِ»[1].

وخرَّجَ مُسلِمٌ، مِن حديثِ أبي سعيدٍ، عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**إنَّ اللهَ حرَّمَ الخمرَ؛ فمَن أدركتْهُ هذِهِ الآيةُ وعندَهُ مِنها شيْءٌ؛ فلَا يشربْ، ولَا يَبعْ**»؛ قالَ: فاستقبلَ النَّاسُ بمَا كانَ عِندَهم مِنهَا في طَريقِ المدينَةِ؛ فسفَكُوهَا[2]!

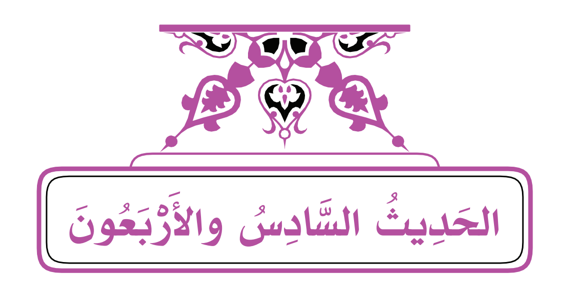
وخرَّجَ أيضاً، مِن حديثِ ابنِ عبَّاسٍ أنَّ رَجُلاً أهدَىٰ لرَسُولِ اللهِ ﷺ راويةَ خمرٍ؛ فقالَ لهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ علمتَ أنَّ اللهَ قدْ حَرَّمَهَا؟**»؛ قالَ: لَا! قالَ: فسارَّ إنساناً؛ فقالَ لهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِمَ ساررتَهُ؟**»؛ قالَ: أمرتُه ببَيْعِهَا! قالَ: «**إنَّ الَّذِي حَرَّمَ شُربَهَا؛ حَرَّمَ بَيْعَهَا**»؛ قالَ: ففتحَ المزادةَ؛ حتَّىٰ ذهبَ مَا فِيهَا[3]!



والحاصلُ مِن هذِهِ الأحاديثِ كلِّها: أنَّ مَا حَرَّمَ اللهُ الانتفاعَ بهِ؛ فإنَّه يحرُمُ بيعُه وأكلُ ثمنِهِ؛ كمَا جاءَ مصرَّحاً بهِ في الرِّوايةِ المتقدِّمَةِ: «**إنَّ اللهَ إذَا حَرَّمَ شيئاً؛ حَرَّمَ ثمنَهُ**»؛ وهذِهِ كلمةٌ عامَّةٌ جامعَةٌ؛ تطَّردُ في كلِّ مَا كانَ المقصودُ مِن الانتفاعِ بهِ حراماً.



(١) أخرجَهُ البُخَاريُّ (٤٥٩)؛ ومُسلمٌ (١٥٨٠).
(٢) أخرجَهُ مُسلمٌ (١٥٧٨).
(٣) أخرجَهُ مُسلِمٌ (١٥٧٩).



الحَدِيثُ السَّادِسُ والأَرْبَعُونَ

عن أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ (أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ إِلَىٰ اليَمَنِ؛ فسَأَلَهُ عَنْ أَشْرِبَةٍ تُصْنَعُ بِهَا.

فقالَ: «ومَا هِيَ؟»؛ قَالَ: البِتْعُ، والمِزْرُ، فقِيلَ لأَبِي بُرْدَةَ: ومَا (البِتْعُ؟) قَالَ: نبيذُ العَسَلِ، و(المِزْرُ): نَبِيذُ الشَّعِيرِ.

فقَالَ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ».

خرَّجَهُ البُخَارِيُّ.

الشَّرح

هذَا الحديثُ أصلٌ في تحريمِ تناوُلِ جميعِ المُسْكِراتِ المغطيَةِ للعَقْلِ.

واعْلَمْ؛ أنَّ المُسْكِرَ المزيلَ للعقْلِ نوْعَانِ:

أحدُهما: مَا كانَ فيهِ لذَّةٌ وطربٌ؛ فهذَا هُوَ الخمرُ المحرَّمُ شُرْبُهُ. قالَ طائفةٌ مِن العُلماءِ: وسواءٌ كانَ ذلكَ المُسكرُ جامداً أَو مائعاً، وسواءٌ كانَ مطعوماً أَو مشروباً، وسواءٌ كانَ مِن حَبٍّ، أَو ثَمَرٍ، أَو لَبَنٍ، أَو غيرِ ذلكَ، وأدخلُوا في ذلك الحشيشةَ الَّتِي تُعمَلُ مِن ورقِ القِنَّبِ، وغيرَها ممَّا يؤكلُ لأجلِ لذَّتِهِ وسكرِهِ.

وفي «سُنَنِ أَبي داودَ»، مِن حديثِ شهرِ بنِ حوشبٍ، عَن أمِّ سلمةَ، قالَتْ: «نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن كلِّ مُسْكِرٍ ومُفتِّرٍ»[1]؛ و(المُفَتِّرُ): هُوَ المُخَدِّرُ للجسدِ، وإنْ لَم ينتهِ إِلَىٰ حدِّ الإسكارِ.

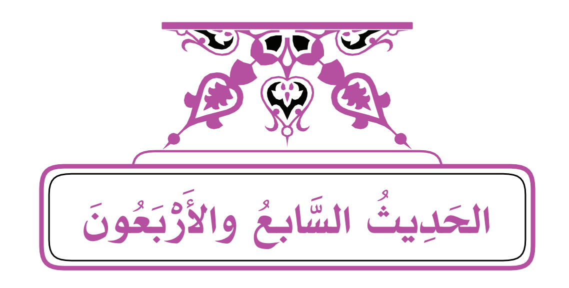
(١) أخرجَهُ أبو داودَ (٣٦٨٦)؛ وضعَّفَه الشَّيخُ الألبانيُّ في «ضعيف سُنَنِ أبي داودَ» (٧٩٣).

والثَّاني: مَا يزيلُ العقلَ ويسكرُ، ولَا لذَّةَ فيهِ ولا طربَ ـ كالبنج ونحوِهِ ـ؛ فقالَ أصحابُنَا: إنْ تناوَلَهُ لحاجةِ التَّداوِي بهِ، وكانَ الغالبُ السَّلامةَ مِنهُ؛ جازَ، وإنْ تناولَ ذلكَ لغيرِ حاجةِ التَّداوِي؛ فقالَ أكثرُ أصحابِنَا كالقاضِي وصاحِبِ «المُغنِي»: إنَّه محرَّمٌ؛ لأنَّه تسبَّبَ إِلَىٰ إزالةِ العقلِ لغيرِ حاجةٍ؛ فحَرُمَ كشُربِ المُسْكِرِ.

وأمَّا الحدُّ؛ فإنَّما يجبُ بتناولِ مَا فيهِ شدَّةٌ وطربٌ مِن المُسكراتِ؛ لأنَّه هُوَ الَّذِي تدعُو النُّفوسُ إليهِ؛ فجُعِلَ الحدُّ زاجراً عَنهُ.

فأمَّا مَا فيهِ سكرٌ بغيرِ طربٍ ولَا لذَّةٍ؛ فليسَ فيهِ سِوَىٰ التَّعزيرِ؛ لأنَّه ليسَ في النُّفوسِ داعٍ إليهِ؛ حتَّىٰ يُحتاجَ إِلَىٰ حدٍّ مقدَّرٍ زاجرٍ عَنهُ؛ فهُوَ كأكلِ الميتةِ ولحمِ الخنزيرِ، وشُرْبِ الدَّمِ!





الحَدِيثُ السَّابعُ والأَرْبَعُونَ

عن المِقْدَامِ بنِ مَعْدِيكَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِن بطنٍ! بحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه، فإنْ كانَ لَا مَحَالَةَ؛ فثُلثٌ لِطَعَامِهِ، وثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ».

رَوَاهُ الإمَامُ أَحْمَدُ، والتِّرمِذِيُّ، والنَّسَائِيُّ، وابْنُ مَاجَه، وقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ».

الشَّرح

هذَا الحديثُ أصلٌ جامعٌ لأُصُولِ الطِّبِّ كلِّها.

وقدْ رُوِيَ أنَّ ابنَ ماسويهِ ـ الطَّبيبَ ـ لمَّا قرأَ هذَا الحديثَ في «كتابِ أَبي خيثمةَ؛ قالَ: «لَوِ استعملَ النَّاسُ هذِهِ الكلماتِ؛ سَلِمُوا مِن الأمراضِ والأسقامِ، ولتعطَّلتِ المارستانات[1]، ودكاكينُ الصَّيادِلَةِ»! وإنَّما قالَ هذَا؛ لأنَّ أصلَ كلِّ داءٍ التُّخَمُ؛ كمَا قالَ بعضُهم: «أصلُ كلِّ داءٍ البَرَدَةُ»[2]، ورُوِيَ مَرْفُوعاً، ولَا يَصِحُّ رَفعُهُ، وقالَ الحارثُ بنُ كلدةَ ـ طبيبُ العَرَبِ ـ: «الحميةُ رأسُ الدَّواءِ، والبطنةُ رأسُ الدَّاءِ»؛ ورفعَهُ بعضُهم، ولَا يَصِحُّ أيضاً.

فهذَا بعضُ منافعِ تقليلِ الغِذاء، وتركِ التَّملِّي مِن الطَّعامِ بالنسبةِ إلَىٰ صلاحِ البَدَنِ وصِحَّتِهِ.

(١) جمع مارستان وهو المستشفىٰ.
(٢) (البَرَدَة) ـ بفَتْحَتَينِ ـ: التُّخمة. انظر: «مختار الصِّحاح»، مادة: (بَرَدَ).

وأمَّا منافعُهُ بالنِّسبَةِ إِلَىٰ القلبِ وصلاحِهِ: فإنَّ قلَّةَ الغذاءِ توجبُ رقَّةَ القلبِ، وقوةَ الفَهْمِ، وانكسارَ النَّفسِ، وضعفَ الهَوىٰ والغَضَبِ. وكثرة الغذاءِ توجبُ ضدَّ ذلكَ!

رَوَىٰ ابنُ أَبي الدُّنيا في كتابِهِ «الجُوعِ»، بإسنادِهِ، عَن محمَّدِ بنِ واسعٍ، قالَ: «من قلَّ طُعْمُه؛ فَهِمَ، وأفهمَ، وصفَا، ورَقَّ، وإنَّ كثرةَ الطَّعامِ ليثقلُ صاحبَهُ عَن كثيرٍ ممَّا يريد»!

وعَن عُثمانَ بنِ زائدةَ، قالَ: كتبَ إليَّ سُفيانَ الثَّوريُّ: «إنْ أردتَ أَن يصحَّ جسمُكَ، ويقلَّ نومُك؛ فأقِلَّ مِن الأكلِ».

وعَن مالكِ بنِ دينارٍ، قالَ: «مَا ينبَغِي للمؤمِنِ أَن يكونَ بطنُه أكبرَ همِّه، وأَن تكونَ شهوتُهُ هِيَ الغالبةَ عليهِ».



وقدْ ندبَ النَّبيُّ ﷺ إِلَىٰ التَّقلُّلِ مِن الأكلِ في حديثِ المقدامِ؛ وقالَ: «**حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقيماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**»؛ فأحسنُ مَا أَكَلَ المؤمنُ في ثُلثِ بطنِهِ، وشَرِبَ في ثُلثٍ، وتركَ للنَّفَسِ ثُلثاً؛ فإنَّ كثرةَ الشُّربِ تجلبُ النَّومَ، وتفسدُ الطَّعامَ.

وقدْ كانَ النَّبيُّ ﷺ وأصحابُهُ يجوعونَ كثيراً، ويتقلَّلونَ مِن أكلِ الشَّهواتِ؛ وإنْ كانَ ذلكَ لعدمِ وجودِ الطَّعامِ؛ إلَّا أنَّ اللهَ لَا يختارُ لرَسُولِهِ إلَّا أكملَ الأحوالِ وأفضلَهَا!

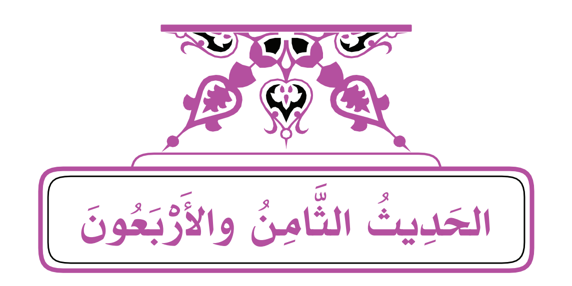
ففي «صَحيح مُسلِم»، عَن عائشةَ، قالَتْ: «مَا شَبعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن خبزِ شعيرٍ، يومَيْنِ مُتتابِعَيْنِ؛ حتَّىٰ قُبِضَ»(١)!

وفي «صَحيح مُسلِم» أيضاً، عَن عُمَرَ، أنَّه خطبَ؛ فذكرَ مَا أصابَ النَّاسَ مِن الدُّنيا؛ فقالَ: «لقدْ رأيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَظلُّ اليومَ يلتوِي؛ مَا يجدُ دقلاً يملأُ بَطْنَهُ»(٢)!

---

(١) أخرجَهُ مُسلِمٌ (٢٩٧٠).

(٢) أخرجَهُ مُسلِمٌ (٢٩٧٨)، و(الدِّقل): رَدِيءُ التَّمرِ.



الحَدِيثُ الثَّامِنُ والأَرْبَعُونَ

عن عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيهِ؛ كانَ مُنافِقاً، وإِنْ كَانَتْ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ فيهِ؛ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ».

خَرَّجَهُ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ.



الشَّرح

هذَا الحديثُ خرَّجَاهُ في «الصَّحيحينِ».

والَّذِي فسَّرَهُ بِهِ أهلُ العِلْمِ المعتبَرُونَ أنَّ (النِّفاقَ) في اللُّغَةِ هُوَ مِن جِنسِ الخِداعِ والمَكْرِ، وإظهارِ الخيرِ وإبطانِ خلافِهِ. وهُوَ في الشَّرعِ ينقسِمُ إلَىٰ قِسْمَيْنِ:

أَحدهما: النِّفَاق الأكبَر: وهَوَ أَن يُظهرَ الإنسانُ الإيمانَ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورُسُلِهِ واليوم الآخِرِ، ويُبطنَ مَا يناقضُ ذلكَ كلَّه أَو بعضَه. وهذَا هُوَ النِّفاقُ الَّذِي كانَ علَىٰ عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ، ونزلَ القرآنُ بذمِّ أهلِهِ وتكفيرِهم؛ وأخبرَ أنَّ أهلَهُ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِن النَّارِ.

والثَّانِي: النِّفَاق الأصغَر: وهُوَ: نِفاقُ العَمَلِ، وهُوَ أَن يُظهرَ الإنسانُ علانيةً صالحةً، ويبطنَ مَا يخالفُ ذلكَ.

وأصولُ هذَا النِّفاقِ؛ ترجعُ إلَىٰ الخصالِ المذكورةِ في هذِهِ الأحاديثِ[1]؛ وهِيَ خَمسةٌ:

---

(١) معَ إضافةِ حديثِ أبي هُرَيرَةَ ـ في «الصَّحيحينِ» ـ؛ وفيهِ: «**وإِذَا ائتُمِنَ خانَ**».

أَحدُها: أَن يحدِّثَ بحديثٍ لِمَن يصدِّقُه بِهِ، وهُوَ كاذبٌ لهُ.

والثَّاني: إذَا وعدَ أخلفَ. وهُوَ علَىٰ نَوْعَيْنِ:

أَحدهما: أَن يعدَ وفي نيَّتِهِ أَن لَا يَفِيَ بوَعْدِهِ؛ وهذَا أشرُّ الخلفِ.

الثَّاني: أَن يعدَ ومِن نيَّتِهِ أَن يفيَ، ثُمَّ يبدُو لهُ فيخلفُ ـ مِن غيرِ عُذْرٍ لهُ في الخلفِ ـ.

الثَّالثُ: إذَا خاصمَ فجَر؛ ويَعنِي بـ(الفجورِ): أَن يخرجَ عَن الحقِّ عَمْداً؛ حتَّىٰ يصيرَ الحقُّ باطلاً، والباطلُ حقًّا! فإذَا كانَ الرَّجلُ ذَا قُدْرَةٍ ـ عِندَ الخصومةِ ـ علَىٰ أَن ينتصرَ للباطِلِ، ويخيَّل للسَّامِعِ أنَّه حَقٌّ؛ كانَ ذلكَ مِن أقبحِ المحرَّماتِ، وأخبثِ خصالِ النِّفاقِ.

الرَّابعُ: إذَا عاهدَ غدرَ، ولَم يفِ بالعَهْدِ.

الخامسُ: الخيانةُ في الأمانةِ. فإذَا ائتُمِنَ الرَّجلُ أمانةً؛ فالواجبُ عليهِ أَن يؤدِّيهَا؛ فالخيانةُ في الأمانةِ مِن خصالِ النِّفاقِ.

وحاصلُ الأمرِ: أنَّ النِّفاقَ كلَّه يرجعُ إلَىٰ اختلافِ السَّريرةِ والعلانيةِ.

ومِن هُنَا؛ كانَ الصَّحابةُ يخافونَ النِّفاقَ علَىٰ أنفُسِهِم؛ وكانَ عُمَرُ يسألُ حُذيفةَ عَن نفسِهِ[(١)]!

وسُئِلَ أبـو رجـاءٍ العُطارديِّ: هَلْ أدركتَ مَن أدركتَ مِن أصحابِ محمَّدٍ ﷺ؛ يخشونَ النِّفاقَ؟ فقالَ: «نَعَمْ؛ إنِّي أدركتُ مِنهُم ـ بحَمْدِ اللهِ ـ صدراً حسناً، نَعَمْ؛ شديداً! نَعَمْ؛ شديداً!»[(٢)].

وقالَ البُخَارِيُّ في «صَحيحه»: قالَ ابنُ أَبي مُليكةَ: «أدركتُ ثلاثينَ مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ؛ كلُّهم يخافُ النِّفاقَ علَىٰ نَفْسِهِ»، ويُذكرُ عَن الحَسَنِ: «مَا خافَهُ إلَّا مؤمنٌ، ولَا أَمِنَهُ إلَّا منافقٌ»[(٣)]!

---

(١) أي: هَلْ عدَّهُ النَّبيُّ ﷺ مِن المنافقينَ؟!

(٢) يَعنِي: نَعَمْ؛ كانُوا يخافونَه خوفاً شديداً؛ فالسُّؤالُ معادٌ في الجوابِ.

(٣) كتاب الإيمان، من «صحيح البخاري»، باب خوف المؤمنِ أَن يحبطَ عملهُ وهُوَ لَا يشعرُ.
أقولُ: وقدْ شرَحَهُ المصنِّفُ الحافظُ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللهُ؛ في كتابِهِ العُجابِ «فتح البارِي شرح صحيحِ البُخَارِيِّ»؛ شَرحاً قلَّ أَن ترَاهُ في غيرِهِ!

والآثارُ عَن السَّلَفِ في هذَا كثيرةٌ جِدّاً.

وسُئِلَ الإمامُ أحمدُ: مَا تقولُ فيمَن لَا يخافُ علَىٰ نَفسِهِ النِّفاقَ؟ فقالَ: «ومَن يأمَنُ النِّفاقَ علَىٰ نَفسِهِ؟!».

ومِن أعظم خصالِ النِّفاقِ العَمَلِيِّ: أن يعملَ الإنسانُ عملاً، ويُظهِرَ أنَّه قصدَ بِهِ الخيرَ، وإنَّما عملَهُ ليتوصَّلَ بهِ إلَىٰ غرضٍ لهُ سيِّئٍ؛ فيتمَّ لهُ ذلكَ، ويتوصَّل بهذِهِ الخديعةِ إلَىٰ غرضَهِ، ويَفرح بمكرِهِ وخِداعِهِ، وحمدِ النَّاسِ لهُ علَىٰ مَا أظهرَهُ، وتوصَّل بهِ إلَىٰ غرضِهِ السَّيِّئِ الَّذِي أبطنَهُ.

وهذَا قدْ حكاهُ اللهُ في القرآنِ عَن المنافقينَ واليَهُودِ:

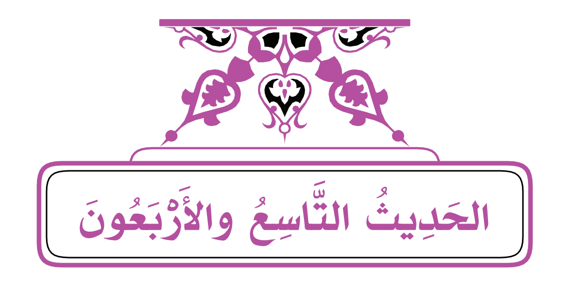
فحكَىٰ عَن المنافقينَ أنهم: ﴿...ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾ [التوبة]، وأنزلَ في اليهودِ: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨﴾ [آل عمران].

ولمَّا تقرَّرَ عِندَ الصَّحابةِ رضي الله عنهم أنَّ النِّفاقَ هُوَ اختلافُ السِّرِّ والعلانيةِ؛ خَشِيَ بعضُهم علَىٰ نفسِهِ أن يكونَ إذَا تغيَّرَ عليهِ حضورُ قلبِهِ ورِقَّتِهِ وخُشُوعِهِ عِندَ سماعِ الذِّكْرِ، برُجُوعِهِ إلَىٰ الدُّنيا، والاشتغالِ بالأهلِ والأولادِ والأموالِ؛ أن يكونَ ذلكَ مِنهُ نِفاقاً! كمَا في «صَحيح مُسلِم»، عَن حنظلةَ الأُسَيِّدِيِّ، أنَّه مرَّ بأبي بكرٍ وهُوَ يَبْكِي[1]، فقالَ: مَا لكَ؟! قالَ: نافقَ حنظلةُ يَا أبا بكرٍ! نكونُ عِندَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ يُذكِّرُنا بالجنَّةِ والنَّارِ كأنَّا رأيُ عينٍ، فإذَا رجعنَا؛ عافسنَا الأزواجَ والضَّيعةَ؛ فنسينَا كثيراً! قالَ أبو بكرٍ: فوَاللهِ؛ إنَّا لكذلكَ! فانطلقَا إلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فقالَ: «**مَا لَكَ يَا حنظلةُ؟!**»؛ قالَ: نافقَ حنظلةُ يَا رَسُولَ اللهِ! وذكرَ لهُ مِثْلَ مَا قالَ لأبي بكرٍ؛ فقالَ ﷺ: «**لَو تَدومونَ علَىٰ الحالِ الَّتي تقومونَ بِهَا مِن عِندِي؛ لصافحتْكُم الملائكةُ في مجالِسِكُم وفي طرقِكُم! ولكنْ يَا حنظلةُ ساعةً وساعةً**»[2].

---

(١) الباكِي: حنظلةُ، لَا أبو بكرٍ رضي الله عنهما.

(٢) أخرجَهُ مُسلِمٌ (٢٧٥٠).



الحَدِيثُ التَّاسِعُ والأَرْبَعُونَ

عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ:

«لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُوا خِمَاصاً، وتَرُوحُ بِطَاناً».

رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، والتِّرْمِذِيُّ، والنَّسَائِيُّ، وابْنُ مَاجَه، وابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحه»، والحاكِمُ.

وقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

الشَّرح

هذَا الحديثُ أصلٌ في التَّوكُّلِ؛ وأنَّه مِن أعظمِ الأسبابِ الَّتِي يُستَجلَبُ بِهَا الرِّزقُ؛ قالَ اللهُ جل جلاله: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق].

وحقيقةُ (التَّوكُّلِ): هُوَ صِدْقُ اعتمادِ القلبِ علَىٰ اللهِ جل جلاله؛ في استجلابِ المصالِحِ، ودَفْعِ المضارِّ، مِن أُمُورِ الدُّنيا والآخرَةِ كلِّهَا، وكِلَةُ(١) الأُمُورِ كلِّها إليهِ، وتحقيقُ الإيمانِ بأنَّه لَا يُعطِي ولَا يمنعُ ولَا يضرُّ ولَا ينفعُ سِوَاهُ.

قالَ سعيدُ بنُ جُبيرٍ: «التَّوكُّلُ: جماعُ الإيمانِ».

وقالَ وهبُ بنُ منبِّهٍ: «الغايةُ القُصوَىٰ: التَّوكُّلُ».

(١) (الكِلَة) ـ بكسرِ الكاف، وفتح اللَّام ـ: التّوكيل.

وقالَ الحَسَنُ: «إنَّ توكُّلَ العَبْدِ علَىٰ رَبِّه أَن يعلمَ أنَّ اللهَ هُوَ ثِقَتُهُ».

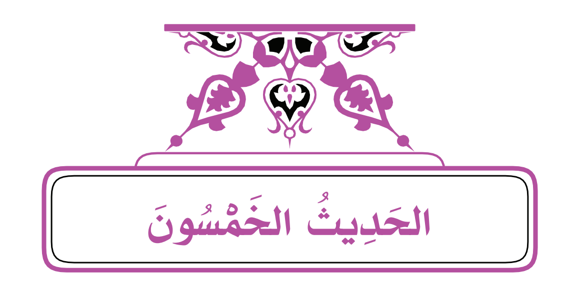


واعْلَمْ؛ أنَّ تحقيقَ التَّوكُّلِ لَا يُنافِي السَّعْيَ في الأسبابِ الَّتِي قدّرَ اللهُ سُبحانَهُ المقدوراتِ بِهَا، وجَرَتْ سُنَّتَهُ في خَلْقِهِ بذلكَ؛ فإنَّ اللهَ تعالَىٰ أمرَ بتعاطِي الأسبابِ، معَ أمرِهِ بالتَّوكُّلِ؛ فالسَّعْيُ في الأسبابِ بالجوارِحِ طاعةٌ لهُ، والتَّوكُّلُ بالقلبِ عليهِ إيمانٌ بهِ؛ كمَا قالَ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، وقالَ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠].

واعْلَمْ؛ أنَّ ثمرةَ التَّوكُّلِ الرِّضَا بالقضاءِ؛ فمَنْ وَكَّلَ أُمُورَهُ إلَىٰ اللهِ، ورَضِيَ بمَا يقضيهِ لهُ ويختارُهُ فقدْ حَقَّقَ التَّوكُّلَ عليهِ.

ولذلكَ؛ كانَ الحَسَنُ والفُضَيْلُ وغيرُهُمَا يُفسِّرون (التَّوكُّلَ) علَىٰ اللهِ بـ(الرِّضَا).





الحَدِيثُ الخَمْسُونَ

عن عَبْدِ اللهِ بنِ بُسْرٍ، قَالَ:

أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ؛ فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا؛ فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ؟

قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللهِ ﷻ».

خَرَّجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، بِهذَا اللَّفْظِ.

الشَّرْح

قَدْ أمرَ اللهُ سُبحانَهُ المؤمنينَ بأَن يذكُرُوهُ ذِكْراً كثيراً، ومَدَحَ مَن ذكرَهُ كذلكَ؛ قالَ ـ تعالَىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب]، وقالَ تعالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة].

وفي «صَحيح مُسلِم»، عَن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مرَّ علَىٰ جبلٍ ـ يُقالُ لهُ: جُمدانُ ـ[1]؛ فقالَ: «**سِيرُوا! هذَا جُمْدانُ! قدْ سَبَقَ المُفَرِّدُونَ!**»؛ قالُوا: ومَن المُفَرِّدُونَ؟ قالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيراً، والذَّاكِراتُ**»[2].

ومِن هذَا المعنَىٰ: قولُ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العزيزِ ليلةَ عرفةَ، عِندَ قُرْبِ

(١) جُمدان علىٰ وزن سبحان قالَ في «النِّهاية» (١/ ٢٩٢): «هُوَ ـ بضَمِّ الجيمِ، وسكونِ الميم ـ جبلٌ علَىٰ ليلةٍ مِن المدينَةِ»؛ أَي: علَىٰ بُعدِ ليلةٍ.

(٢) أخرجَهُ مُسلِمٌ (٢٦٧٦).

الإفاضةِ: «ليسَ السَّابقُ ـ اليومَ ـ مَن سبقَ بعيرُهُ؛ وإنَّما السَّابقُ مَن غُفِرَ لهُ»!

وفي «صَحيح مُسلِمٍ»، عَن عائشةَ، قالَتْ: «كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يذكرُ اللهَ علَىٰ كلِّ أحيانِهِ»[١].

قالَ الحَسَنُ: «أحبُّ عِبادِ اللهِ إليهِ أكثرُهُم ذِكْراً».

وقالَ كعبٌ: «مَنْ أكثرَ ذِكْرَ اللهِ؛ برئَ مِن النِّفاقِ»؛ ويشهدُ لهذَا المعنَىٰ: أنَّ اللهَ تعالَىٰ وصفَ المنافقينَ بأنَّهم لَا يذكرونَ اللهَ إلَّا قليلاً؛ فمَن أكثرَ ذِكْرَ اللهِ؛ فقدْ باينَهُم في أوصافِهِم؛ ولهذَا؛ خُتِمَتْ سُورَةُ (المنافقين) بالأمرِ بذِكْرِ اللهِ؛ وأَن لَا يلهيَ المؤمنَ عَن ذلكَ مالٌ ولَا ولدٌ؛ وأنَّ مَن ألهاهُ ذلكَ عَن ذِكْرِ اللهِ؛ فهُوَ مِن الخاسِرينَ.

وقالَ الربيعُ بنُ أنسٍ، عَن بعضِ أصحابِهِ: «علامةُ حُبِّ اللهِ كثرةُ ذِكْرِهِ؛ فإنَّكَ لَن تُحِبَّ شيئاً إلَّا أكثرتَ ذِكْرَهُ».

وقولُ عائشةَ: «كانَ النَّبيُّ ﷺ يذكرُ اللهَ علَىٰ كلِّ أحيانِهِ»:

المعنَىٰ: في حالِ قيامِهِ، ومشيِهِ، وقعودِهِ، واضطجاعِهِ، وسواءٌ كانَ علَىٰ طهارَةٍ أَو حَدَثٍ.

وكانَ خالدُ بنُ معدانَ يسبِّحُ كلَّ يومٍ أربعينَ ألف تسبيحَة، سِوَىٰ مَا يقرأُ مِن القرآنِ! فلمَّا ماتَ؛ وُضِعَ علَىٰ سريرِهِ ليُغسَّلَ؛ فجعلَ يشيرُ بأصبعِهِ؛ يحرِّكُها بالتَّسبيح!

وقيلَ لعميرِ بنِ هانئٍ: مَا نرَىٰ لِسانَكَ يفتُرُ؛ فكمْ تسبِّحُ كلَّ يومٍ؟ فقالَ: «مِئة ألف تسبيحَة، إلَّا أن تخطئَ الأصابعُ»؛ يَعنِي: أنَّه كانَ يعدُّ ذلكَ بأصبعِهِ!

نامَ بعضُهم عِندَ إبراهيم بنِ أدهمَ، قالَ: «فكنتُ كلَّما استيقظتُ مِن اللَّيلِ؛ وجدتُهُ يذكرُ اللهَ؛ فأغتمُّ! ثُمَّ أعزِّي نَفْسِي بهذِهِ الآيةِ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤]»!

(١) أخرجَهُ مُسلِمٌ (٣٧٣).

كلَّما قويَتِ المعرفةُ؛ صارَ الذِّكْرُ يجرِي علَىٰ لسانِ الذَّاكرِينَ مِن غيرِ كُلفةٍ! ولهذَا؛ يُلهَمُ أهلُ الجنَّةِ التَّسبيحَ؛ كمَا يُلهمون النَّفَسَ! وتصيرُ (لَا إلٰهَ إلَّا اللهُ) لَهم كالماءِ البارِدِ لأهلِ الدُّنيا!

أحدُ السَّبعةِ الَّذِينَ يظِلُّهُم اللهُ في ظِلِّه؛ يومَ لَا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه: «**رجلٌ ذَكَرَ اللهَ خالياً؛ ففاضَتْ عيناهُ**».

الذِّكرُ لذَّةُ قلوبِ العارفينَ؛ قالَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

قالَ مالكُ بنُ دِينارٍ: «مَا تلذَّذَ المتلذِّذُونَ بمِثْلِ ذِكْرِ اللهِ».



فَصْلٌ
فِي وَظَائِفِ الذِّكْرِ المُوَظَّفَةِ فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ

معلومٌ أنَّ اللهَ ﷻ فرضَ علَىٰ المسلمينَ أن يذكرُوه كلَّ يومٍ ولَيْلَةٍ خمسَ مرَّات؛ بإقامةِ الصَّلواتِ الخمسِ في مواقيتِهَا، وشرعَ لَهم معَ هذِهِ الفرائِضِ الخمسِ؛ أن يذكرُوهُ ذِكْراً يكونُ لَهم نافلةً؛ فشرعَ لَهم أَن يُصلُّوا معَ الصَّلواتِ الخمسِ قبلَها، أَو بعدَها، أَو قبلَها وبعدَها سُنَناً؛ فتكون زيادةً علَىٰ الفريضةِ؛ فإنْ كانَ في الفريضةِ نقصٌ؛ جُبِر نقصُها بهذِهِ النَّوافِلِ؛ وإلَّا كانَتِ النَّوافِلُ زيادةً علَىٰ الفرائِضِ.

وأطولُ مَا يتخلَّلُ بينَ مواقيتِ الصَّلاةِ، ممَّا ليسَ فيهِ صلاةٌ مفروضَةٌ مَا بينَ صلاةِ العشاءِ وصلاةِ الفَجْرِ، ومَا بينَ صلاةِ الفَجْرِ وصلاةِ الظُّهرِ؛ فشَرَعَ صلاةً تكونُ نافلةً؛ لئلَّا يطولَ وقتُ الغفلَةِ عَن الذِّكْرِ؛ فشَرَعَ مَا بينَ صلاةِ العشاءِ والفَجْرِ صلاةَ الوِتْرِ وقيامَ اللَّيْلِ، وشَرَعَ مَا بينَ الفَجْرِ والظُّهرِ صلاةَ الضُّحَىٰ.

وأمَّا الذِّكْرُ باللِّسانِ؛ فمشروعٌ في جميعِ الأوقاتِ، ويتأكَّدُ في بعضِهَا:

فمِمَّا يتأكَّدُ فيهِ الذِّكْرُ عقيبَ الصَّلواتِ المفروضاتِ.

ويُسْتَحَبُّ الذِّكْرُ بعدَ الصَّلاتينِ اللَّتَينِ لَا تطوُّعَ بعدَهُما ـ وهُمَا: الفَجْرُ، والعَصْرُ ـ؛ فيُشرَعُ الذِّكْرُ بعدَ صلاةِ الفَجْرِ، إلَىٰ أَن تطلعَ الشَّمْسُ، وبعدَ العَصْرِ، حتَّىٰ تغربَ الشَّمْسُ؛ وهُمَا أفضلُ أوقاتِ الذِّكْرِ؛ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب].

فإذَا أوَىٰ إلَىٰ فراشِهِ للنَّومِ؛ فإنَّه يُستَحَبُّ لهُ ألَّا ينامَ إلَّا علَىٰ طهارةٍ[1]،

(١) لما في «الصَّحيحين»، عَن البراءِ بنِ عازبٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لهُ: «**إذَا أتيتَ مضجعَكَ؛ فتوضَّأْ وضوءَكَ للصَّلاةِ**» الحديثَ. وروَىٰ الطَّبرانيُّ في «الأوسط» (٥٠٨٣)، مِن حديثِ ابنِ عباس رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**طهِّرُوا هذِهِ الأجسادَ ـ طهَّرَكُم اللهَ ـ؛ فإنَّه ليسَ عبدٌ يبيتُ طاهراً؛ إلَّا باتَ معهُ في شعارِهِ مَلَكٌ، لَا ينقلبُ** =

وذِكْرٍ؛ فيسبِّح ويحمد ويكبِّر تمامَ المئةِ؛ كمَا علَّمَ النَّبيُّ ﷺ فاطمةَ وعليًّا أَن يفعلَاهُ عِندَ مَنامِهِما، ويأتِي بمَا قدرَ عليهِ مِن الأذكارِ الوارِدَةِ عَن النَّبيِّ ﷺ عِندَ النَّومِ؛ وهِيَ أنواعٌ متعدِّدَةٌ مِن تلاوةِ القرآنِ، وذِكْرِ اللهِ، ثُمَّ ينامُ علَىٰ ذلكَ. فإذَا استيقَظَ مِن اللَّيلِ، وتقلَّبَ علَىٰ فِراشِهِ؛ فلْيَذْكُرِ اللهَ كلَّما تقلَّبَ.

وفي «صَحيح البُخارِيِّ»، عَن عُبادةَ، عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**مَن تَعَارَّ مِن اللَّيلِ؛ فقالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وحدَهُ لَا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ، وهُوَ علَىٰ كلِّ شيْءٍ قديرٌ، سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولَا إلٰهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولَا حولَ ولَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ، ثُمَّ قالَ: ربِّ اغْفِرْ لِي ـ أو قالَ: ثُمَّ دعا ـ؛ استُجيبَ لهُ، فإنْ عزمَ فتوضَّأَ، ثُمَّ صلَّىٰ؛ قُبِلَتْ صلاتُهُ**»(١).

وثبتَ أنَّه ﷺ كانَ إذَا استيقظَ مِن منامِهِ؛ يقولُ: «**الحمدُ للهِ الَّذِي أحيانِي بَعْدَمَا أماتَنِي؛ وإلَيْهِ النُّشُورُ**»(٢).

ثُمَّ إذَا قامَ إلَىٰ الوضوءِ والتَّهجُّدِ؛ أتَىٰ بذلكَ كلِّه علَىٰ مَا وردَ عَن النَّبيِّ ﷺ، ويختمُ تهجُّدَهُ بالاستغفارِ في السَّحَرِ؛ كمَا مدحَ اللهُ ـ سُبحانَهُ ـ المستغفرينَ بالأسحارِ، وإذَا طلعَ الفَجْرُ؛ صلَّىٰ ركعتَيِ الفَجْرِ، ثُمَّ صلَّىٰ الفَجْرَ، ويشتغلُ ـ بعدَ صلاةِ الفَجْرِ ـ بالذِّكْرِ المأثورِ، إلَىٰ أن تطلعَ الشَّمسُ.

وآخرُ شَيْءٍ أنتَ في كلِّ هجعةٍ ... وأوَّلُ شَيْءٍ أنتَ وقتَ هبوبِي

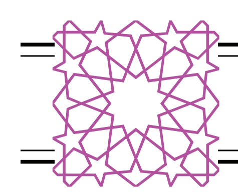
وتجبُ التَّوبةُ إلَىٰ اللهِ، والاستغفارُ مِن الذُّنوبِ كلِّها ـ صغيرِهَا وكبيرِهَا ـ؛ كمَا قالَ ـ تعالَىٰ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

فمَن حافظَ علَىٰ ذلكَ؛ لَم يَزَلْ لِسانُهُ رَطْباً بذِكْرِ اللهِ، في كلِّ أحوالِهِ.

= **ساعةَ مِن اللَّيلِ؛ إلَّا قالَ المَلَكُ: اللَّهُمَّ؛ اغفِرْ لعبدِكَ؛ فإنَّه باتَ طاهراً**». جوَّدَ المنذريُّ إسنادَهُ، وقالَ الألبانيُّ في «صَحيح الترغيب» (٥٩٥): «حسَنٌ لغيرِهِ».

(١) أخرجَهُ البُخاريُّ (١١٥٤). ومعنَىٰ (تعارَّ)؛ أي: استيقظَ؛ قالَ في «النِّهاية» (٣/ ٢٠٤): «ولَا يكونُ إلَّا معَ كلام».

(٢) أخرجَهُ البُخارِيُّ (٦٣٢٥)؛ ومُسلِمٌ (٢٧١١)، مِن حديثِ البراءِ.



فهرس

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة